

استظهار أسرار آيات القرآن التي اتصلت بالعلوم جميعا . ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا ، فإما المعلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرار الفطرة ، والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة ، فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة ، وتتجاوب كلماتها وكلماته ، وإن كانت كلماتها وقائع وسنفاً ، وكلماته عبارات وإشارات تتضح وتنبهم طبق ما تقتضيه حكمة الله في مخاطبة خلقه ، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتى من العلم والفهم ، وكذلك دواليك على مر العصور .

هذا التدرج في إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه في الواقع ، ثم هو مطابق لحكمة الله سبحانه في جملة الإسلام آخر الأديان ، وجملة القرآن معجزة الدهر ، أي معجزة خالدة متجددة : يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين ، وناحية لم يكن أحد يعرفها أو يحلم بها من قبل ، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو تجديداً للرسالة الإسلامية ، كما أن رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويربهم دليلاً على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن .

هذا النوع من الإعجاز يعجز الإلهاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرا من العقل . فإن الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً ، والتي ذكرها القرآن ، لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق الحقيقة هو منزل القرآن .

وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين : الأول أنه لا ينبغي في فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن ندل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه . إن مخالفة هذه القاعدة الأصلية البسيطة قد أدى إلى كثير من الخطأ في التفسير . وسرى أن من أعجب عجائب القرآن أن المطابقة بين آياته وآيات الفطرة تكون آتم وأيسر كلما أخذنا بتلك القاعدة في فهم كونيات القرآن . هذا أمر .

أما الأمر الثاني فهو أنه ينبغي ألا تقسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض . إن الحقائق هي سبيل التفسير الحق : هي كلمات الله الكونية ينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ؛ أما المحسنيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للابطال في أي وقت .

الإنسانية العلمية الإعجاز القرآني

مؤسساز منزهة محمد الغزالي



القرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده ؛ وموضع الحجة القاهرة فيه إعجازه الخلق . وينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفاً على فصحاء العرب ومن لف لفهم ، فإن الإنسانية كلها مخاطبة به ، مطالبة بالتسليم له أنه كلام الله ليس لأدى فيه كلمة

ولا حرف . والإنسانية أعجمها أكثر من عربيها ، ومع ذلك فلا بد من أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ، ولو كان أعجمي اللسان ، لتلزمه حجة الله إن هو أبي الإسلام .

هذا النوع من النظر والتعكير يؤدي إلى نتيجة لازمة : إن إعجاز القرآن نواحي غير الناحية البلاغية ، وغير ناحية التنبؤات التي كانت في ضمير النبي حين نزل القرآن ، ثم حققها الله فعلا فيما استقبل الناس من زمان .

الواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم كل ما كتب فيه . لكنني لست أريد أن أتناوله في هذا المقال إلا من تلك الناحية التي لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لثة لا تيسر معرفتها لكل أحد . هذه الناحية هي الناحية العلمية من الإعجاز وإذا فهمنا الناحية العلمية على أوسع معانيها فإنها تشمل كل ما عدا الناحية البلاغية من النواحي : تشمل الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس ويقودها طبق قوانين فطرتها ؛ وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات ؛ وتشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن ثم كشف عنها التنقيب الأثرى بعد ؛ ثم تشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عليه غير الإنسان من الكائنات في الأرض ، وما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون .

هذه النواحي هي التي ينبغي أن يشمر المسلمون للكشف عنها وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث . ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستمينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن ، ويستمينوا بها جميعاً على

لكن العلم لم يهتد إلى الآن في العوالم المجرية الأخرى إلى أرض
كأرضنا ، وإن اهتدى إلى أن في كل عالم مَجْرَمِي آلائها مؤلفة
وملايين من الشمس . وتستجد أكثر الناس ينفع من التطابق
القرآني العلمي في هذا اللفظ الكريم بهذا القدر ؛ لكن
حرفية المعنى القرآني لا تقنع بهذا وتؤدي إلى أكثر من هذا .
إن عالمنا ، وهو العالم الذي نعرف عنه أكثر كثيرا مما نعرف
الآن عن إخوته ، فيه أرض تدور حول شمس ، بكل ما في الأرض
وما في الشمس من أسرار . لغرفية اللفظ القرآني وحققيقة الجمع
القرآني يقتضيان أن تكون هناك عوالم أخرى فيها أرض تدور
حول شمس . أي أنه لا بد حسب حرفية القرآن أن يكون في
ملايين العوالم المجرية الأخرى عوالم ولو قليلة يتحقق فيها ما هو
متحقق لنا في هذا العالم الذي جمه الله سبحانه في أول آية من
كتابه جمع تذكير ، ليكون في ذلك إشارة وتنبية للناس إلى
ما في الكلمة الكريمة من أسرار ليطلبوها فلا يصرقوا أنفسهم
عنها بتعليقهم صيغة الجمع بمراعاة الفاصلة ، أو التثنيب ، أو ما أشبه
ذلك من تليل .

فما مبلغ ما وصل إليه العلم الحديث في شأن هذا الشر العظيم
الذي أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة « رب العالمين » ، وبر وجود
الحياة في أرض غير أرضنا في عالم كالمنا ؟ كل ما وصل إليه من
هذا أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن ، بل أمر
راجح . ومن يرد الاستزادة من وجهة العلماء في هذا الأمر ،
فليقرأ فصل : « الحياة في العوالم الأخرى » من كتاب : « عوالم
لا نهاية لها » للفلكي اللسكي الإنجليزي هـ . سبتسر جوزر .

وإذا لم يكن لدى العلم إلا ترجيح ما فهمنا من اللفظ
الكريم ، فهل في كتاب الله ما يؤيد هذا الفهم وهذا التخرج ؟
هل في القرآن ما يفصل هذا السر المجل في لفظ « العالمين » ؟
فإن أوثق ما يفسر به القرآن هو القرآن .

(البقية في السدالنادم)
محمد أحمد العمراوي

في شهر ميماور :

وقع اضطراب في ترتيب هذه التصيدة نصوبه فيما يلي :
جاء بعد البيت الثامن الذي أوله : في موكب القادين
(لا النادين) قوله :

لوقستم بدموم وسلاحه ... والصواب : أن موضع هذا
البيت هو بعد البيت الثاني عشر الذي أوله : الرابضين على الحصون .

فسيلاها أن تعرض هي على القرآن بالقاعدة السابقة ليتبين مبلغ
قربها منه أو بعدها عنه ، وعلى مقدار ما يكون بينها وبينه من
اقتراب ، يكون مقدار حظها من الصواب .

فلنأخذ الآن في تبين طرف من إيجاز القرآن العلمي عن طريق
ضرب بعض الأمثال . وستكون الأمثال فردية لأن الناحية العلمية
العامة من الإيجاز قد سبق بيانها في بعض أعداد الرسالة^(١) ، إذ
أثبتنا التطابق التام بين العلم الطبيعي الحديث والقرآن من ناحية
الموضوع ومن ناحية الطريقة ، وبيدنا أن العلم بموضوعه مأمور
به في القرآن على التحديد ، وأن العلم بطريقته يقره ويؤيده القرآن
لنبدا من الأمثلة بأول آية - بعد البسملة - في أول سورة
من القرآن . لنبدأ بالآية الكريمة فآحة أم الكتاب . « الحمد لله
رب العالمين » ولندع إيجاز شرطها الأول ، ولنأخذ في إيجاز
شرطها الثاني ، ولنتعصر من ذلك على ما يتمثل من الكلمة الأخيرة
منه : كلمة « العالمين » .

لاشك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل :
ناحية الجمع ، وناحية تذكير الجمع . فالعرب لم يكونوا يعرفون
إلا عالماً واحداً هو الذي كانوا يعيشون فيه . والناس إلى اليوم
لا يتحدثون إلا عن عالم واحد هو هذا الذي نبصر ونحس ونعيش
فيه . فقصر الحمد على رب العوالم شيء عجاف الناس إذ ذلك ولم
يأنفه كل الناس إلى اليوم .

والنفس الناس تلك العوالم المتعددة فقالوا هي عوالم الإنس
والجن والملائكة ، وقالوا هي عوالم الحيوان والنبات والجماد ،
ولكن ليس كل ذلك بمفهوم بمعنى ذلك اللفظ ، لفظ « العالمين » إنه
جمع مصروف لا جمع منكر ، وأنت إذا قلت العالم لم تفهم إلا عالماً
واحداً هو هذا الشامل لكل ما ترى من أرض وسما . وإذا
أخذنا بحرفية اللفظة في الفهم طبق قاعدتنا الأولى ، كان عالمنا هذا
فرداً من أفراد ، وعالماً من عوالم مثله . فإين هذا المعنى في أي
كتاب بأي لسان قبل القرآن ؟

ثم جاء علم الفلك الحديث بمراقبه ومراسده ، وتحليلاته
الرياضية وغير الرياضية ، فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها
ومنها ليست في هذا العالم المَجْرَمِي شيئاً مذكوراً ؛ وبين أن هناك
عوالم مجرية أخرى مترامية الطارح تمد لا بالثبات ولا بالأثوف
ولكن بالملايين ؟

(١) انظر المدين (١٤٦ ، ١٤٨ من السنة الرابعة)